

## أسامة ابن منقذ وشعره

للاستاذ أحمد أحمد بدوي

بقية ما نشر في العدد الماضي

- ٥ -

بصور لنا شعر أسامة صلته بأبيه وإخوته : بهاء الدولة منقذ ،  
ونجم الدولة محمد ، وعز الدولة ، وشمس الدولة عبد الرحمن ابن أخيه  
محمد - قوية وثيقة ، يضمم لأبيه الحب وخالص الاجلال ، ويمنى  
أكبر ما يعنى بأن يكون راضيا عن خطواته وأهدافه . كتب إلى  
أبيه يستأذنه في فراق شيرز بعد أن ساءت حياته فيها قصيدة  
طويلة منها :

فاسمح بي مدى عنهم يرضاك لي إن الذي ترضى عليه موفق  
حتى إذا آثر أسامة البعد ، كتب إلى أبيه فصائد يشوق  
فيها إليه ، ويحدثه عن آماله في إقائه والحياة معه ، حتى إذا سمع  
أسامة أن تغيرا عليه ألم بقلب والده ، بعث إليه يستمطغه ويسترضيه ،  
ومن ذلك قوله :

سالى ، ولله غماء فيما أرتجى من حسن رأيك في ، وهو شفيى  
أعذبت لي من جود كفاك موردى فصفا وأمرع من نذاك ربيى  
وبك اعتليت ، وطلت من ساميته فخرا بجدك ، لاجحن صنيى  
وقضى ببعدى عنك دهر جائر وإلى جنابك إن سلمت رجوعى  
وكتب مرة إليه من منقذه قصيدة منها :

في لوعتان عليك يضمف عنهما جلدى من الأشواق والأشفاق  
فالشوق أنت به الطام ، وقالب الأشفاق مما أنت في ملاقى وقد  
أثرت هذه القصيدة في نفس والده ، فكتب إليه :

أظن أنى بدد ببدك باقى أجرى عن الأشواق بالأشواق  
أبا المظفر دعوة تشقى الظلما مى ، وإن أضحى بها إحراقى  
لم أستكن أبدا خلطبا نازل إلا لبدك ، فهو غير مطلق

فاذا أطمت الوجد فيك أطاعنى قلبي ، ويبدى إن عصيت - شقاقى  
فاذا ذكرتك خلت أنى شارب نمل سقام من اللدامة ساق

وامن والده رأى هذه القصيدة غير مبيته عما يضمره قلبه  
لولده ، من لاعج الشوق ، فقام أحد مؤدبى أسامة بنظم قصيدة  
أرسلها إليه ، يصف فيها حال هذا الوالد المذنب .

ولما شئت إخوته في البلاد ، كانت رسائله إليهم تفيض  
إلى ركرى الزقاق ، فاذا بعاه أحدهم ، تقبل عنه  
بالتبى ، وصادق الحب والوودة . وحدث أن أخاه محمدا أسره  
القرنج ، وهو راحل من مصر ، عقب حركة عباس وأبنته نصر  
فلم يمنعه ما كان بينه وبين ابن عمه بشيرز من صلة مقطوعة ، أن  
يكتب إليه مستعينا به على فك أسره أخيه ، مبديا أرق ألوان  
الاستعطاف ، إذ يقول من قصيدة :

أنا ابن عمك ، فأجملنى بفك أخى

من أسره ، لك عبدا ، مامشت قدى

ولكن ابن عمه لم يتأثر بالشعر ، ولم يسع في فكك أخيه .  
أما صلته بعمه حاكم شيرز وابن عمه ، فظهر أنه حاول  
جاهدا الإبقاء على الصلة التى تربط بهما ، وبذل في سبيل ذلك  
ما استطاع أن يبذل من عنت ومشقة . وامل خير ما يصوره وقفه  
في تلك الفترة قوله :

وما أشكو تلون أهل ودى ولو أجدت شكيتهم شكوت  
ملكت عتابهم ، ويئمت منهم فسا أرجوم فيمن رجوت  
إذا أدمت قوارصهم فؤادى كظمت على أذام ، وانطويت  
ورحت عليهم طلق الميما كاتى ماسمت ، ولا رايت  
تجنوالى ذنوبا ما جنتمسا بداي ، ولا أمرت ، ولا نهيت  
ولا والله ، ما أضمرت فذرا كما قد أظهوره ، ولا نويت  
ويوم الحشر موعدنا ، وتبدو صحيفة ما جنوه وما جنيت  
وبعد وفاة عمه حاول أسامة أن يصلح ما بينه وبين ابن عمه ،

وأن يعطفه عليه ، ويلين قلبه ، ولكن يبدو أن هذا الجهد لم  
يؤت ثمرته ، فظلت النفرة بين أسامة وأهله ، حتى مضى ذلأل  
« شيرز » بهم ، فبكام أسامة كما ذكرنا ، وكل هذا يدلنا على

ما امتازت به نفس أسامة من حب بضمه لأقاربه ، ورغبة خالصة في أن يعيش بينهم بظلمهم جرما الود والوثام ، لو استطاع إلى ذلك سبيلا ، ولا ذنب عليه إذا هو أخفق في جهده كان جدرا به أن يسجج ، وأكاد المس في شمره أنه لم يسجج يوما إلى فهم عروة مودة بينه وبين قريب أو صديق .

— ٦ —

فانهض الآن مسرعا ، فبأمتنا لك مازال يدرك المطلوب والى عنا رسالة عند نور الدين ماني إلتاقها ما يريب قصدنا أن يكون منا ومنكم أجل في مسيرنا مضروب فلدينا من المساكر ماخا ق بأدناهم الفضاء الرحيب وعلينا أن يستهل على الشام مكان الفيوث ، مال صبيب —

ومن أكبر هؤلاء الذين اتصل بهم أسامة الملك الصالح طلائع بن رزك ، ودار بين الاثنين كثير عن الرسائل التي تفصح عن ود مكين بين قلبيهما ، وإعجاب كل بصاحبه أكبر الإعجاب ، فضت قصائد الصالح إلى أسامة تدعوه إلى مصر حينئذ ، وتعقب عليه إثارة البعد عنها حينئذ آخر ، وتأخذ عليه أحيانا أنه مقل في رسائله ، لا يوالى بمث كتبه ، وكثيرا ما حدثه الصالح عما قام به من حروب مع الفرنج ، ويطلب منه أن يكون وسيلته إلى نور الدين ، كي يجتمعا مما على حرب الصليبيين ، وقد شارك الصالح أسامة فيما نزل به من أحداث قاسية في حياته ، وكان الصالح ممجبا بمواهب أسامة في الحرب والسلام ، يرى فيه محاربا شجاعا ، وشاعرا مقلما ، وخطيبا بارعا ، وحكيا في إبداء الرأي صائبا ، يقول له :

فلو ان نور الدين يجعل فعلنا فيهم مثالا ويسير الأجناد جهرا ، كي تنازلهم نزالا ويبقى لنا ولأهل دو انه بما قد كان قالا لرأيت للافرنج طرا في معاقلم اعقلا وتجهزوا للسير نحو والقرب أوقصدوا الشمالا وقام أسامة بدوره من تحريض نور الدين على النزول والاجتماع على رأى الملك الصالح ، فكتب إليه أسامة يقول :

بلغ العبد في النياية والتحرى ، وهو المقوه المقبول فرأى من عزيمة الفوز ما كادت له الأرض والجبال عميل

وجهاد المدبر بالتمل والقور ل على كل مسلم مكتوب ولك الرتبة العلية في الأمرين مذ كنت إذ تشب حروب أنت فيها الشجاع مالك في الطعن ولا في الضراب يوما ضريب وإذا ما حرصت فالشاعر المقلن فيما تقوله والخطيب وإذا ما أشرت فالخزم لا يتكر أن التدبير منك مصيب لك رأى مذقظ إن ضف رأى على حاملى الصليب صليب

وكان رأى أسامة كرأى الصالح في الاجتماع ، ووحدة الكلمة ، ومضى المسكين مما إلى الحرب ، وقصائده إلى الملك الصالح تحت على هذا التضامن والاتفاق ، ولكن ذلك لم يخرج عن حد الأمان ، ولو أنه نفذ يومئذ فربما كان قد تغير مجرى التاريخ .

وهو لذلك راه خير من يحمل عبء الرسالة إلى نور الدين ، يحرضه على أن يجتمعا مما على حرب الصليبيين في وقت واحد ، حتى تشتت وحدتهم ، ولا يستطيعوا الحرب في جبهتين ، وذلك كان رأى الملك الصالح . يجهز الاثنان جيشيهما ، ويسيران معا في وقت واحد إلى أرض العدو ، طلب من أسامة أن يبلغ ذلك رأى إلى نور الدين إذ قال له :

كانت رسائل الملك الصالح إلى أسامة كثيرا ما نصف له ما نزل بالقدس من عن على أيدى الصليبيين ، وما نصف به هؤلاء من القدر الذي لا يحول بينهم وبينه هدنة تمعد ، ولا عقد يبرم ، وكثيرا ما تحدثت هذه الرسائل عن وقائع الصالح في الفرنج ، وغزواته لهم .

ومضت قصائد أسامة تحمل الثناء على الملك الصالح ، وتشكر أياديه ، وكان الصالح يبره ، ويرسل إليه خيره ، ولم يكن أسامة

- ٨ -

كان أسامة شديد الاعتزاز بنفسه في ميادين القتال ، شديد  
الاعتزاز بأسرته ، شديد الثقة بصيره ، وثباته وتجربته ، وكان  
ذلك كله ينبوع فخره في شعره ، فما قاله مفتخرًا بشجاعته :  
لخمس عشرة نازلت الكماة إلى أن شبت فيها ، وخير الخيل ما قرحا  
أخوضها كشماب القذف مبتدما طلق الحيا ، ووجه الموت قد كالحا  
بصارم من رآه في قتام وغى أفرى به الهام ظن البرق قد لحا  
أعدو نثار الوغى في الحرب إن خدت

بالبيض في البيض والهلمات مقتدحا  
فـل كآة الوغى عى ، لتملم كم

كرب كشفت ، وكم ضيق بي اتفسحا  
وهو يعلم أن مكاته في السلم رهينة بما يديه في الحرب من  
بسالة وإقدام :

إن يحسدوا في السلم منز لتي من العز النيف  
فيا أهين النفس في يوم الوغى بين الصفوف  
فلطالما أقدمت إذ دام الختوف على الختوف  
بمزجة أمضى على حد السيوف من السيوف  
وفي كثير من شعره افتخر بصبره على الكاره ، وأحداث الزمان .

( للكلام ملة ) أحمد أحمد بروى  
مدرس بكلية دار العلوم

## تايخ الأدب العربي

للاستاذ أحمد حسن الزيات

يؤرخ الأدب العربي من عصر الجاهلية إلى هذا  
العصر بأسلوب قوى ، ومستقيم موجز وتحليل  
مفصل واختيار موفق ومقارنة بين الأدب العربي  
والآداب الأخرى

طبع اثني عشر مرة في ٥٢٥ صفحة  
وتعنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

يجد مضاضة في سؤال الصالح ولا الشكوى إليه ، كتب إليه  
مرة يقول :

أشكو زمانا قضى بالجور في ، ولم يزل يجور على مثلى ويمتسف  
لحت نوابه عودى ، وأقد مو جودى ، وشنت شمل وهو مؤتلف  
وقد دعوتك مظلوما ومرتبيا رفي يديك الغنى والعدل والخلف  
ومن شكر أسامة له قوله :

والندى طبعك الكريم ، فأه نى نوالا تنيله وتثيب  
جائى واليه سار روى كما يا ب نياتى البلاد ربح يرب  
وعجب أن الواهب تسرى ويقم المسترفد الموهوب

- ٧ -

ومدح أسامة غير الصالح معين الدين أرى ، حاكم دمشق ،  
عندما كان في كنفه ، وبمدان فارقه ، وجاء إلى مصر ؛ يشى عليه  
بالجود الذى تمبده ، فيقول :

معين الدين ، كم لك طوق من يجيدى مثل أطواق الحمام  
وحينا يشى عليه ببلائه في حرب الصليبيين ، وانتصاره عليهم  
فيقول له :

أنت سيف الاسلام حقا فلاقل غرارك أيها السيف دهر  
بك زاد الاسلام ياسيفه الخ ذم عزا ، وذل شرك وكفر  
ومدح الوزير الأفضل عباس بن أبى الفتوح وزير الظاهر ،  
وابنه نصر على نعمه ، وما أولاه من الفضل والكرامة ، وفي  
ديوانه قصيدة لا أدرى لمن وجهها ، مدح فيها بتشجيع العلوم  
وتوطيد أركان العلوم ، أما رأيه في نور الدين محمود :

فهو المهاى عن بلاد الش ام أجمع أن تذالا  
ومبيد أملاك القر نه ج وجههم حالا فخالا  
ملك يتيه الدهر والد نيا بدولته اختيالا  
فاذا بدا للناظر من رأت عيونهم الكعحالا

لكنه أخذ عليه شدة زهده ، وحمله الناس على الزهد ، حتى  
لقد أشبهت أيامه شهر الصوم في طهارتها وامتلائها بالجوع  
والطلمش ، وأسامة بهذا يدل على رغبة قوية في أن يستمتع بالمباهج  
الطيبة للحياة .

ومدح أسامة كذلك صلاح الدين ، ذا كرا أفضله عليه  
وعلى الاسلام .